



الصورة الفنية للعاطفة في القرآن الكريم

بحث مقدم من قبل

م.م رحاب عبد الغفور خلف أحمد

وزارة التربية مديرية تربية بغداد- الكرخ ٢

الملخص

العاطفة: هي مجموعة من الانفعالات تتجمع حول معنى شيء من الأشياء، والانفعال هو الوجدان الثائر الذي يهزُّ النفس ويثيرها.

فكان هدفي من كتابة البحث أن أكون صورة فنية عنها لكثرتها. بجوانبها الوجدانية والإنسانية مستشهداً بشواهد من القرآن الكريم وخاصة من قصصه لأنها خير مثال تتجسد فيه خصائص التصوير الفني من حركة وحوار، ودلالة ألفاظ، وتناسق فني، وكان هناك مجال واسع للخيال فيها - الخيال البعيد عن الوهم - في القرآن الكريم، كتاب حياة جمع التوحيد والعقيدة العبادات والمعاملات والحدود... الخ
كما احتوى على المشاعر الوجدانية في كل العلاقات الإنسانية مثل علاقة المرأة بالرجل، علاقة الأم بولدها، علاقة الوالد بولده، والعكس وغيرها التي لم يكن لبحثي إحصاؤها لكثرتها.

يتكون البحث من مبحثين:

المبحث الأول تكلمت فيه عن مفهوم الصورة الفنية عند الأدباء، وعن مفهوم التصوير الجمالي وتعريف العاطفة والانفعال، وتكلمت عن الخيال وفرقه عن التخيل.

وجاء المبحث الثاني بشواهد من القصص القرآنية لتجسيد تلك الصور الفنية.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد البسيط خدمةً ونصرةً لدينه، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Abstract

Emotion: It is a group of emotions that gather around the meaning of something, and now the effective is the rebellious conscience that shakes the soul and raises it.

It was my goal of writing the research to be a technical image of emotion with its emotional and human aspects citing references from the Holy Quran, especially from his stories because it is the best example, embodied in the characteristics of artistic photography of the movement and dialogue, and the meaning of words and technical consistency, and there was a wide area of imagination - About the illusion - in the Koran, the book of life of the collection of Tawheed and faith in worship, transactions, borders ... etc

As well as emotional feelings in all human relations such as the relationship between women and men, the relationship of the mother to her son, the relationship of the father to his son, and vice versa, which was not my research counted for many.

The research consists of two sections: the first topic where I spoke about the concept of artistic image in the writers, and the concept of aesthetic photography and the definition of emotion and emotion, and talked about the imagination and teams on the imagination.

The second topic came with a number of Quranic stories to reflect these artistic images.

I ask God to accept this simple part of service and support for his religion, thank God and the Lord of the worlds and prayed to God and our master Muhammad and his family and companions.



مقدمة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له من بعده .
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

بدأت اكتب هذا البحث بعد تردد طويل ... في اختيار الموضوع وتردد في اختيار المصادر ... لكن بعد تفكير طويل استخرت الله عز وجل وتوكلت عليه في الكتابة عن موضوع (العاطفة) وتكوين صورة فنية عنها مستشهدة بشواهد من القرآن الكريم وخاصة من قصصه لأنها خير مثال تتجسد فيه خصائص التصوير الفني من حركة وحوار ودلالة ألفاظ، وجوانب وجدانية وإنسانية وتناسق فني وهناك مجال واسع للخيال فيها .. الخيال البعيد عن الوهم .. ولا أنكر باني قد أدخلت خيالي الشخصي في تصويري عن حالة العاطفة في تلك الشخصوس .. ولكن هذا ما اشعر به عند تلاوتي للقرآن الكريم .. وان شاء الله لا أكون متجاوزة بذلك قدسية القرآن الكريم .. ولكن شجعني من حولي من ذوي الخبرة جزاهم الله خير الجزاء.

ويتكون البحث من فصلين:

البحث الأول مقدمة عن الصورة الفنية ويتكون من مطالب

المطلب الأول: مفهوم الصورة، أنواع من الصور

المطلب الثاني: التصوير الجمالي ومفهوم العاطفة

المطلب الثالث: عناصر الصورة الأدبية

المطلب الرابع: الفرق بين الخيال والتخييل

المبحث الثاني: شواهد من القرآن الكريم لتصوير

العاطفة

المطلب الأول: الصورة الفنية للمرأة في التعبير

عن عواطفها

المطلب الثاني: عاطفة الأمومة

المطلب الثالث: عاطفة الأب تجاه ابنه

المطلب الرابع: عاطفة الابن تجاه أبيه

- الخاتمة

- قائمة للمصادر

- Abstract

المبحث الأول

مقدمة عن الصورة الفنية

الصورة مصطلح نقدي عرفه القدماء والمحدثون ولعل الجاحظ أقدم من أشار إليه أو تصوره. عدَّ الشعر صناعة وضرباً من النسخ وجنساً من التصوير واستقر هذا المصطلح بين يدي عبد القاهر الجرجاني الذي انطلق في تفسير إعجاز القرآن وظل بعده في منأى عن الدراسات النقدية والبلاغية؛ لأن النقد وقف عند التقليد في عهد طغى فيه الشرح والتلخيص .

وقد تهيأ لمصطلح الصورة أن يعود إلى الدراسات النقدية بعد اتصال العرب بالغرب في القرن العشرين، وبعد ان اخذوا يدرسون التراث العربي في ضوء المناهج الحديثة، واختلفوا في فهم الصورة لاختلاف



م.م رحاب عبد الغفور خلف أحمد

فقرة ممتدة وقد يكون نصاً مؤتلفاً.

أنواع من الصور:

أولاهما: الصورة التقريرية

وهي الصور التي تتقرر هيئتها لدى المتلقي بواسطة مدلول كلمات التعبير التي نهضت يرسمها من غير اللجوء إلى أساليب البلاغة العربية تقرّبها للآخرين وتجربها في أذهانهم مثيرة ما استقر في هذه الأذهان من ذكريات خاصة وتجارب شخصية^(٣).

وثانيتهما: الصورة الفنية

والفنية نسبة إلى مصطلح الفن الذي تنازع الباحثون المعاصرون في حدة وتعريفه وتباينت آراؤهم بشأن مصدره وطبيعته وأهدافه ولم يستقر مذهبهم في أصله ودخوله إلى اللغة العربية .

فالدكتور علي جواد الطاهر يرى: (اننا نستعمل كلمة «الفن» مصطلحاً دائراً على الألسن العربية المعاصرة وكأن اللفظة عربية الأصل، وماهي كذلك فما عرف العرب كلمة الفن بهذا المعنى ، وانما هي لدينا مقصوداً. ترجمة للكلمة الغربية التي صارت مصطلحاً وهي: art)^(٤).

والحقيقة أن فريقاً من الباحثين الأوربيين والعرب، استقبلوا الفن كظاهرة إنسانية هدفها يتعدى التنفيس عن العاطفة والانفعال ويرمي إلى التأثير في الآخرين بنوع من الأداء يتمثل تعبيراً منظماً مقصوداً^(٥).

المنابع التي استقوا منها وتعدد المذاهب الأدبية والنقدية التي لم تتفق على تحديد معناها، وظهرت دراسات تأخذ من القديم أو من الجديد فحصل التباين وحدث الاختلاف ووقع الافتراق .

وحاول بعضهم أن يوفق بين التراث والتيارات الأجنبية فأخفق، لأن لكل أمة روحاً تسري في الإبداع وتصوره.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى استخلاص الأصول من الأدب العربي قديمة وحديثة، وهي حاجة تملئها الذات العربية والنظرة العلمية^(١).

المطلب الأول: مفهوم الصورة

إن دراسة مصطلح الصورة لغةً وتلمس مدلوله على أساس المنهج الموازن بين الدراسات البلاغية والنقدية العربية ومؤلفتها بشأن هذه المسألة أو تلك من المسائل المتعلقة بهذا المصطلح - تقيم مفهومنا للصورة على أنها: ((ما يتماثل بوساطة الكلام للمتلقى من مدركات حساً، ومعقولات فهماً ومتخيلات تصوراً، وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجداناً، وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركبة في الإنسان وعباً ومن غير وعي))^(٢).

وإنّ الكلام الذي يمثل الصورة على هذا النحو قد يكون كلمة مفردة وقد يكون جملة مركبة وقد يكون

(١) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، موازنة وتطبيق،

تأليف د. كامل حسن البصير، ص ٣.

(٢) ينظر: بناء الصورة الفنية، ص ٢٦٧.

(٣) م.ن، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، ص ٢٧.

(٥) ينظر: وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي،



المطلب الثاني :

التصوير الجمالي ومفهوم العاطفة

حين نقرأ نصاً أدبياً رفيعاً، فإننا نحس بالانتقال إلى عالم آخر غير عالمنا الواقعي المادي، ونشعر بأن الأديب قد حملنا على أجنحته إلى عالم المثالية والمتعة عالم لا يهمه الواقع المادي للأشياء قدر ما يهمه علاقتنا بهذه الأشياء وإحساسنا وتأثرنا بها.

ووسيلة الأديب في هذا ليس اللفظ وحده وليس المعنى وحده، وإنما يرجع إلى التأثير الفني والنفسي، والصورة التي يكونها عن طريق اختيار الألفاظ والمعاني، فالصورة الأدبية هي ثمرة عاطفة الأديب وما يشعر به في نفسه وما يضيفه عليها من حالاته النفسية الوجداني ويكون الانتقال من اللفظ إلى المعنى انتقالاً غير مباشر بل بضروب من المجاز وحيثئذ تكون الصورة هي مدار الحسن^(٣).

فالانفعال هو: الوجدان الثائر الذي يهز النفس ويثيرها، والعاطفة: هي مجموعة من الانفعالات تتجمع حول معنى شيء من الأشياء^(٤).

وان موضوع الذوق الأدبي يعد من أكثر الموضوعات الأدبية اتصالاً بالجانب الوجداني، ولاريب أن الوجدان الحي هو أهم عنصر من عناصر الذوق السليم وان كان لعنصري الإدراك والإرادة

وفي هذا الخضم نعود إلى المعجمات العربية والدراسات البلاغية والنقدية بمدلولاتها فنؤكد: أن اللغة العربية لم تجهل مادة الفن ولم تفتقر إلى صيغته.

وإذا تذكرنا هنا طبيعة هذه اللغة الكريمة في تطور موادها بنية ومدلولات، فمن حقنا أن نشير إلى أن معجمات هذه اللغة سجلت لنا: الفنان (كشداد): الحمار الوحش) الذي (له فنون من العدو)^(١)، إذن فكلمة الفن ومادتها قد جرت بها اللغة العربية، وأن مدلولها في هذا الاستعمال قد حمل إلينا معاني البراعة والمهارة والتنوع.

فلنا أن نعرف الفن بأنه: نتاج الوعي في مهارة وإتقان، وعليه فإننا حين ننسبه ونجعله صفة للصورة ونقول الصورة الفنية، نريد من هذا الضرب من الصور ما يمتاز بالمهارة في البناء والدقة في الصياغة عن وعي متيقظ وإرادة هادفة^(٢).

ومها يكن فإن الكلمة العربية بطبيعة صياغتها ومسار تقلب معانيها وتطور مدلولاتها.. هي نبع فائض وصدى شفاف، لذلك ترسم - صورة فنية- بطبيعتها وتستوي أداة لتجسيد الأمور معنويًا.

وقد أدرك الأدباء هذه الخاصية في اللغة العربية فاتخذوها وسيلتهم في التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم وأفكارهم زمنًا بعد زمن.

(٣) ينظر: دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، ص ٥٢.

(٤) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، منصور عبد الرحمن، ص ٤٤٣.

ص ٢٦.

(١) ينظر: لسان العرب، ١٧/ ٢٤؛ تاج العروس، ٩/ ٣٠٣.

(٢) بناء الصورة الفنية، ص ١٧٢.



م.م رحاب عبد الغفور خلف أحمد

ويقرر عبد القاهر أن الخيال المعتمد على التصوير الحسي أقرب إلى النفوس وأسرع في إظهار المعنى للعقول^(٤)، وقد أدرك النقاد دور الخيال الهام في التعبير الأدبي كونه عنصراً هاماً من عناصر الصورة الأدبية، وبه يربط الأديب بين الأشياء التي لا يرى الإنسان العامي بينها أي صلات .

أما الدكتور عبد القادر الرباعي يرى أن الصورة: في التصور الجديد ابنه للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف عند الشعراء من قوى داخلية تفرق العناصر وتشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم^(٥).

وربما كان الخيال انفع المواهب النفسية في فن الأدب ولا يكاد يستغنى عن باب من أبوابه؛ لأنه خير وسيلة لتصوير العاطفة التي هي العنصر الأول في هذا الفن الجميل.

المطلب الرابع:

الفرق بين الخيال والتخييل

الخيال: يجب ان يكون بعيداً عن الوهم والتخبط حتى لا يفسد وإنما يجب أن يقوم على حقائق فيربط بين حقائق الأشياء وحقائق الوجدان وانفعالاته ربطاً لا ينكره حس ولا عقل .

والنقاد هنا يفرقون بين الخيال والتخييل فهما وان كانا ضربين من التحليق بعيداً عن الواقع المادي، فان الخيال لا يخلو من الصدق في ارتباطه بحقائق الأشياء.

فيه شأن يذكر، ولهذا كان تهذيب الوجدان، وتنمية عاطفة محبة الجمال من خير الوسائل لتقوية الأذواق وتهذيبها والدوق مزيج من العاطفة والعقل والحس وربما كانت العاطفة أهم عناصره وأوسعها سلطاناً في تكوينه ومظاهره وأحكامه^(١).

المطلب الثالث:

عناصر الصورة الأدبية

ترجع إلى عنصرين جوهرين أحدهما: التعبير أو تأليف الكلام، والآخر: الخيال .
١. تأليف الكلام:

أن الدلالة العقلية للكلمات دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، أما الدلالة العاطفية فغير واضحة ولا مستتبنة، وخذ مثلاً كلمة قريية الدلالة مثل (الحب) فإنها إذا انزلت على لسان الأديب وسمع بالحقيقة اختلفت دلالتها عند كل منهم بحسب حالته الوجدانية وأصدائها في نفسه^(٢).

٢. الخيال:

من الأشياء الغامضة التي يصعب تفسيرها وان كانت تعرف بآثارها، والخيال وليد العاطفة: فإذا كانت الصور الخيالية ناشئة عن عاطفة سطحية أو سقيمة مزيفة، بدت هذه الصور متكلفة مصطنعة وكانت بعيدة الصلة بالحقيقة^(٣).

(١) اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري، ص ١٤٥.

(٢) ينظر: اتجاهات النقد الادبي، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٣) م.ن، ص ٤١٢.

(٤) ينظر: اسرار البلاغة، ص ١٠٢.

(٥) الصورة الفنية في شعر ابي تمام، ص ١٤.



الرائعة التي يتكون منها .

المبحث الثاني شواهد من القرآن الكريم لتصوير العاطفة

المطلب الأول:

الصورة الفنية للمرأة

في التعبير عن عواطفها

مما ينبغي دفعه هنا قبل كل شيء اننا لا نذهب إلى أن في القرآن الكريم غزلاً وتشبيهاً، ومع ذلك فان الباحث المثبت يدرك من موضوعات آيٍ للذكر الحكيم ومضامينها، أن القرآن الكريم كتاب الحياة للدنيا والآخرة، ومن هنا فان هذا الكتاب العزيز قد تناول المرأة في مواضع عدة من سوره البينات، وتحدث عنها في شتى شؤونها ومختلف قضاياها .

وقد لاحظ هذه الحقيقة

الدكتور زكي مبارك في جانبها العاطفي المحض وأدى عنها بتوجه نقدي تقليدي بقوله: (نجد في النثر لأقدم عهوده ناذج غزلية كالذي وقع في القرآن وصفاً للحوار والولدان نحو ﴿ وَحَوْرَ عَيْنٍ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ الواقعة / ٢٢-٢٣، ونحو ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴾ الواقعة / ١٧-١٨، وكما جاء في سورة الواقعة ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرْبًا أَمْزَأَبًا ﴾

أما التخيل فيقوم على الوهم^(١)، ولقد تحدث النقاد عن التخيل باعتباره تصويراً لإحساس الأديب ومشاعره وبه نستطيع ان نعرف مدى انفعاله العاطفي وكيف وفق في أن يصور بخياله عواطفه ووجدانه وهو الذي نحكم به على مدى صدق الأديب في إحساسه وانفعاله^(٢).

وعبد القاهر الجرجاني ينظر إلى التخيل نظره فنية، ويغلب على الظن ان عبد القاهر حرص على ألا يستعمل كلمة التخيل حين يتحدث عن التشبيه والتمثيل والاستعارة؛ لأن هذه الأساليب قد وردت في القرآن الكريم وهذا ما نمناها. صراحة حين قارن بين الاستعارة والتخيل فاستعاض في معظم بحثه البياني عن كلمة التخيل بهذه الكلمات الثلاث^(٣).

هذه هي ألوان الخيال وما يتصل به من التخيل والتأثير التي درسها النقاد وعلى رأسهم "عبد القاهر" وكلها ترمي إلى توضيح الصورة الأدبية وبيان السير في جمالها، ووصلها بالإحساس والشعور وتأثيرها النفسي، وفيها تتجلى عمق نظرتهم إلى الصورة البيانية وعللها الجمالية وآثارها النفسية .

وبما أن القرآن الكريم يتكون من اللغة العربية بجميع خصائصها ودلالاتها وجاء القرآن بأساليب العرب كلها، فلا عجب أن يتبحر النقاد والمفسرون في الإعجاز الفني للقرآن الكريم وبيان الصور الفنية

(١) اتجاهات النقد الادبي، ص ٣٧٣.

(٢) م.ن، ص ٤٣٢.

(٣) اتجاهات النقد الادبي، ص ٤٤٠.



فهذه كلها أوصاف تدخل في باب النسب^(١).

ويبين أن الرجل حين يستعمل مصطلح الغزل ومصطلح النسب^(٢) بين آي الذكر الحكيم في هذا الموضوع وفي هذا المضمون يستضيء بالنقد الأدبي التقليدي في مقياسه، ويستند إلى معاييره غير مدرك ما لهذه الآيات الكريبات وما جرى مجراها من خصوصية متميزة^(٣).

وقد درسنا هذه الخصوصية في شتى قضايا المرأة الإنسانية والاجتماعية والعاطفية، فقررنا: أن القرآن الكريم قد اعتمد على الصور الفنية في نسخ النظرة الجاهلية إلى المرأة متاعاً وشيطانة، ودخل بهذا في مسعى فكري وفني لتغيير ما في نفوس الرجال عامة والشعراء خاصة في هذا الباب، ومما نوّكده هنا أن القرآن الكريم قد عرض انطاطاً من سلوك النساء وتوعدت بين الصلاح والطهر والإيمان وبين ما يقف على النقيض من هذا كله، وقد نحتاج إلى شاهد من أي الذكر الحكيم تحدث عن نمط من سلوك النساء ربما يتخرج عن تصويره هذا الشاعر أو ذاك لهذه الفعلة أو تلك فنورد هذا الشاهد من قصة يوسف - عليه السلام- مع زليخاً امرأة العزيز باختصار لذكر الهدف من ذكرنا لهذه القصة^(٤).

(١) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج ١ / ١٤٧.

(٢) النسب في الشعر: الشعر الغزلي، شعر الحب، الرقيق منه،

المتغزل به في النساء، ينظر: قاموس المعجم الوسيط.

(٣) ينظر: قضايا المرأة بين آيات قرآنية واتجاهات شعرية،

ص ١٣، د. كال البصير.

(٤) ينظر: بناء الصورة الفنية، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

فمعروف أن القرآن الكريم أورد هذه القصة خلال الأحداث التي جرت ليوسف مع أخوته، فبعد ان التقطته السيارة وابتاعه عزيز مصر وخلفه في بيته، وجد نفسه مع امرأة شيطانية في هواها، ماكرة في سلوكها، فجسد القران الكريم هذا السلوك وذاك الهوى بقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف / ٢٣

فها هنا تتجسد هذه المرأة بغريزتها غير المحتشمة على أشد ما تكون الغريزة، بيد أن القرآن الكريم قد تلمظ في تصويرها عبارات أدت عن واقع الحال في صور فنية لا تخدش السمع ولا تثير الحرج.

فصور القرآن الكريم هذا كله بالفعل (راود)، وهو مزيد من الفعل الثلاثي: راد يرود، بمعنى جاء وذهب، فاستوى هذا الفعل صورة فنية تنبض بما بيدر عن ينهض به حقيقة وتتسع لبيان حال تلك المرأة التي تعقل نيران الرغبة في داخلها فتحوم حول صاحبها في جيئة وذهاب كما لو كانت محمولة من غير إرادة^(٥).

وتتواصل مشاهد هذه القصة صورة بعد صورة حتى تصل إلى قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف / ٣٠

فقولهن: ((قد شغفها حباً)) لا يتجاوز في مدلول

(٥) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ١٣١/٢ وينظر: تفسير الجلالين،

ص ٣١٢ وينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٩٥٤ / ٤.

في بناء القلوب وبناء الحقائق التي تعمر هذه القلوب .
ونعرض مثلاً آخر لموقف من مواقف المرأة في
القرآن الكريم ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام
وفي سورة القصص تحديداً تقرا قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص/
٢٤، ونسمع من خلال التعبير رفرقة هذا القلب
والتجاءه إلى الحمى الأمن، وما نكاد نستغرق مع
موسى -عليه السلام- في مشهد المناجاة حتى يعدل
السياق بمشهد الفرح.. ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِيًا عَلَى
اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا ﴾ القصص/٢٥، يصف لنا تلك الفتاة الطاهرة
الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال!، وينهي
السياق هذا المشهد فلا يزيد عليه ولا يفسح المجال
لغير الدعوة من الفتاة والاستجابة من موسى، ثم
هي نفسها تقترح على أبيها بقولها: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا
أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنْ خَيْرٍ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾
القصص/٢٦، فالأمين على العرض هكذا امين
على ما سواه، وهي لا تتلثم في هذه الإشارة ولا
تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة^(٣) فهي بريئة
النفس، نظيفة الحس، ومن ثم لا تخشى شيئاً ..

ولا تتعتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على
أبيها، وهنا نلتمس تلك العاطفة النزينة من تلك الفتاة
تجاه سيدنا موسى عليه السلام واستجاب الشيخ
لاقتراح ابنته ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس

صورته الفنية بيان أن حبه قد ملك قلبها، وان كان
معناها اللغوي يتجاوز ذلك إذ يعني، انه حبه قد
خرق شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف
في المعجم العربي: حجاب القلب، وتستمر القصة
...حتى النهاية .

أن التجربة القرآنية هذه في تصوير نمط من سلوك
امرأة لا تخلو منه الحياة الدنيا على الإطلاق قدرسخت
سنة مبتكرة للأدب العربي وأرست أمام^(١) الأدياء
منارات الهدى في صياغة الصور الفنية في التعبير عن
أي أمر يتعلق بالمرأة ويخص سلوكها، إنسانة يلتقيها
الرجل بحكم عوامل حيوية لا نضوب لها ما تعاقب
الليل والنهار على الأرض .

وإذا تذكرنا آيات أخر في هذا الباب ضمها القرآن
الكريم بين دفتيه تمكناً أن نقر مطمئنين: أن هذا الكتاب
العزیز لم يتحاش ذكر المرأة وانه قد أرسى مبادئاً وقيماً
ومعايير فكرية، ونفسية، واجتماعية، وجمالية تعبيرية
جديدة في هذا الذكر الذي وجد سبيله إلينا في صور
فنية مبتدعة ومبتكرة^(٢).

القصة في القرآن تخضع في طريقة عرضها للغرض
المراد من طريقة سياق العرض، فهي أداة تربية
للنفوس ووسيلة تقرير لمعان وحقائق ومبادئ وهي
تتناسق في هذا مع السياق الذي تعرض فيه وتتعاون

(١) ينظر: بناء الصورة الفنية، ص٣٧٤، في ظلال القرآن،
٤ / ١٩٥٥ .

(٢) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٩٨ - ٣٩٩ وينظر: في

ظلال القرآن، سيد قطب، ص٢٦٨٦، ٥ وما بعدها

(٣) في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٦٨٨،



م.م رحاب عبد الغفور خلف أحمد

المذعورة وتلقي في روعها كيف تعمل وتوحي إليها بالتصرف كما ذكرت الآية الكريمة انفاً .
هذا هو المشهد الأول، مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبرر المثبت المريح وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور برداً وسلاماً^(٢).

ثم يأتي المشهد الثاني ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾
سبحان الله هل كانت المسكينة (أم موسى) تخشى عليه إلا من آل فرعون ! ولكنها القدرة تتحدى - حين تلقي في أيديهم بلا بحث ولا جهد بطفل ذكر وأي طفل؟ انه الطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين ! ولكن كيف؟ وهو مجرد من كل حيلة ومن كل قوة؟
لندع السياق يجيب: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةٌ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص/ ٩.

لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته، بعد ما اقتحمت به عليه حصنة، لقد حمته بالمحبة، أي العاطفة التي ألقاها الله عز وجل في قلب امرأة فرعون تجاه سيدنا موسى حين اعتبرت نفسها كأُم له وهو كابن لها في قولها:

﴿ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ القصص/ ٩، وهذا ما نتكلم عنه فالعاطفة والمحبة ذلك الستار الرقيق الشفاف، حمى الله عز وجل به سيدنا موسى لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال حمته بالحب الحاني في

(٢) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ٣٩٥/٢ وينظر: في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٦٨٨.

موسى ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء أسرة، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رحل لأشك تهنوا اليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض على موسى ان يزوجه...

قال: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثِيَابًا حَجَجَ ﴾ القصص / ٢٧
وهكذا في بساطة وصرامة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد ولعله كان يشعر كما أسلفنا أنها محدودة وهي نفس الفتاة التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى عرضها في غير تخرج ولا التواء^(١).

المطلب الثاني:

عاطفة الأمومة

وخير مثال نذكره هنا ما ورد في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص / ٧

لقد ولد سيدنا موسى -عليه السلام- في أوضاع قاسية كما نعلم ولد والخطر محدث به، والموت يتلفت إليه، وها هي ذي امه حائرة به، خائفة عليه، وها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، وهي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة .

هنا تتدخل يد القدرة، فتتصل بالأم الوجلة القلقة

(١) في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٦٧٨-٢٦٧٩.

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿٣﴾؟ فيتلقون كلماتها وهم يستبشرون، فيتهي هذا المشهد وقد عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة (٣).

المطلب الثالث:

عاطفة الأب تجاه ابنه

وخير مثال على هذه العاطفة: قصة سيدنا يعقوب عليه السلام - ووجهه الشديد لسيدنا يوسف - عليه السلام - تتجلى تلك العاطفة من بداية السورة حتى نهايتها، وتتجلى تلك العاطفة بين الأب وابنه منذ بداية السورة وبعتراف الأبناء أي أخوة يوسف أنفسهم .. ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴿ يوسف / ٨، ثم مكيدة الأخوة في أن يجعلوه في غيابة الجب حتى يلتقط بعض السيارة .. وهم يمتالون على أبيهم لأخذه منه بقولهم:

﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزِينُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ يوسف / ١١-١٢

ونحن نجدهم - هم هم - في كل مواقف القصة بعد ذلك، منها مواجهة أبيهم بالفجيعة الثانية في شيخوخته الحزينة، فما ان يروا تجدد حزنه على يوسف حتى ينفجر حقدهم القديم، دون مراعاة لشيخوخة أبيهم ونكبتة الأليمة (٤).

(٣) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٨٠.

(٤) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ١١٨/٢ وينظر: في ظلال

قلب امرأة، وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره، وهان فرعون على الله أن يجمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف! (١).

ثم تذكر القصة مثالا آخر لعاطفة الأمومة... أنها المثال الأهم أنها - أم موسى - قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ القصص / ١٠-١١

- فما بال أمة الواهة وقلبها الملهوف؟ والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية: ﴿ فَارِعًا ﴾ لاعقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر ولا تصريف! ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ وتذيع أمرها في الناس وتهتف كالمجنونة! أنا أضعته .. ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ وشددنا عليه وثبتناها وامسكنا بها من الهيام والشرود لتكون من المؤمنين بوعد الله عز وجل، الصابرين على ابتلائه (٢).

ولم تسكت ام موسى عن البحث والمحاولة: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ .. اتبعني أثره، واعرفي خبره، ان كان حيا .. وذهدت أخته تقص أثره .. أن القدرة التي ترعاه تدبر امره، وتكيد به لفرعون واله، فتجعلهم يلتقطونه ويبحثون له عن ظئر ترضعه، وهو يرفض الثدي كلما عرّضت عليه، حتى تبصر به أخته من بعيد فتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مرضع فتقول لهم: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ

(١) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٧٩.

(٢) م، ن، ٥ / ٢٦٨٠.



﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسْفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَؤُسْفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿ يوسف/ ٨٤-٨٥، يا الله ما هذا الحب العميق وهذه العاطفة الجياشة التي تجعل سيدنا يعقوب يفقد بصره حزناً على سيدنا يوسف؟!

ومثلها عندما أرسل يوسف قميصه إلى أبيه في النهاية بعدما كشف لهم عن شخصيته فلما رأوا أباهم يستنشق عبير يوسف، غاظهم هذا الاتصال الباطني الدال على عمق ما بينه وبين يوسف، فلم يملكوا أنفسهم ان يبكتوه ويؤنبوه^(١) ﴿ وَمَا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَؤُسْفَ لَوْلَا أَن تَفْتَدُونَ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ يوسف/ ٩٤-٩٥ .

وتأخذ مثالاً آخر في هذا الجانب قصة سيدنا نوح -عليه السلام - فكما نعرف ذلك العمر المديد في وعاء القوم إلى عبادة الله عز وجل ولكن نأخذ مشهد من مشاهد القصة، مشهد الطوفان - المشهد الهائل المرهوب .. ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ هود/ ٤٢، في هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يصير نوح، فإذا احد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ هود / ٤٢

القرآن، ج ٤، ص ١٩٥٢ .

(١) ينظر: تفسير الجلالين، ص ٢٩٧ وينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ١٠٤/٢ وينظر: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٥٣ .

ولكن البنوة العاقبة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل: ﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ هود/ ٤٣، ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ هود/ ٤٣، لا جبال لا مخابئ ولا حام ولا واق الا من رحم الله، وفي لحظة تتغير صفحة المشهد فيها هو ذا الموج الغامر يتلجج كل شيء: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ هود/ ٤٣

وبعد ذلك وقد هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت على الجودي، تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ هود/ ٤٥، قالها يستنجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستنجزه حكمته في الوعد الفضاء .. وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها، فالأهل عند الله وفي دينه وميزانه ليسوا قرابة الدم، وإنما هم قرابة العقيدة^(٢)، قال: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ هود/ ٤٦ .

المطب الرابع:

عاطفة الابن تجاه أبيه

وخير مثال على ذلك.. سيدنا إبراهيم الخليل مع أبيه .. ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا

(٢) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ١٠٤/٢ وينظر: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٨٧٩ .

نَبِيًّا ﴿ مريم / ٤١

الخاتمة

لا يسعني وأنا أصل إلى خاتمة البحث إلا أن أشكر الله (عزّ وجلّ) الذي يسر لي ما تقدم، فبعد هذه الرحلة المباركة التي تعرفنا فيها على أسلوب العاطفة القرآنية.

أن لي الان أن أقف عند أهم النتائج التي تمخض عنها وهي حقائق ثابتة ومنها ...

١- أن القرآن الكريم كتاب تنبض فيه الحياة وتتجسد فيه كل معاني صور العاطفة بكل جوانبها الوجدانية، والانفعالية، والإنسانية، فهو كتاب مشاعر وأحاسيس تجعلك ترسم صورة لكل ما تقرأه.

٢- إن بلاغة لغة القرآن الكريم، وأساليب المجاز فيها ساعدت على تكوين صورة في أذهان القارئ، بعيدة عن الخيال القريب من الوهم، وهذه من مميزات كتابنا العزيز.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد البسيط خدمة ونصرة لدينه تعالى، وأسأله تعالى أن يغفر لي إن أخطأت، وعلمي هذا كأبي عمل بشري لا يخلو من الأخطاء، فالكمال لله وحده، والحمد له ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تبدو شخصية سيدنا إبراهيم - عليه السلام- الرضي الحليم .. انه كان صديقاً أي كثير الصدق والتصديق: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ مريم / ٤٢

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه، وتبتلك العاطفة التي نحسها من إبراهيم إلى أبيه يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحجب إليه فيخطبه: ﴿ يَا أَبَتِ ﴿ برقة وعطف واحترام.

وهذه هي السمة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه، ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه، إنما هو العلم الذي جاءه من اله فهده ولو أنه أصغر من أبيه وقل تجربة، ولكن المرد العلوي جعله يفقه ويعرف الحق، وهو ينصح أباه لهذا.

ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وارقها لاتصل إلى القلب المشرك الجاسي فإذا هو أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد قال: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ هَيْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ (١) مريم / ٤٦

(١) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ٢/٢٤٢ وينظر: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٣١٢.



م.م رحاب عبد الغفور خلف أحمد

المصادر

- القرآن الكريم .
١. اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس القادر. تأليف: منصور عبد الرحمن، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٧م.
 ٢. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ط٢، اسطنبول، ١٩٥٤م .
 ٣. بناء الصورة الفنية في البيان العربي، موازنة وتطبيق، د. كامل حسن البصير، ١٩٨٧م.
 ٤. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن احمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٣٧٣هـ، مطبعة دار مروان، بيروت - لبنان.
 ٥. دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر .
 ٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، ١٩٦١.
 ٧. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د. عبد القادر الرباعي، الأردن، ١٩٨٠.
 ٨. في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٤٢٩/٢٠٠٨م.
 ٩. قاموس المعجم الوسيط.
 ١٠. لسان العرب، أين منظور، بيروت .
 ١١. مختصر تفسير ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٠٠-٧٧٤هـ)، اختصره احمد بن شعبان، محمد بن عيادي، ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة الصفا، مصر - القاهرة .

١٢. مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، مطبعة سامي الفنية الحديثة، ط٣، ١٩٨٣م .
١٣. من قضايا المرأة بين آيات قرآنية واتجاهات شعرية، د. كامل حسن البصير، بغداد، ١٩٨١م.
١٤. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، ط٢، مصر، ١٩٥٧م.
١٥. النقد الأدبي، احمد أمين، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٦. وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي، د. محمد النويهي، مطبعة الرسالة، ١٩٦٧م .



